هـــي

هشام جمال- مصر

يسألني صديق في لعبة كرسي الاعتراف عن الانثي التي تحتل شراييني ويتسرب عطرها من مسام جلدي؟

اتردد .. اتلعثم.. تنهار كل محاولاتي للنسيان والتجاوز

يعيد الصديق السؤال، من هي؟

هي..هي الانثي الاولي والحبيبه الاخيره، على شواطئها تكسرت كل ثوراتي وجنوني، كنت طفل بين يديها ورجل في عينها. حين التقينا وتجاوزنا معاً كل الحدود لم نحفل بشئ سوا اننا نصنع تاريخ لنا، نقيم على إنقاض مجتمعنا حضارة جديده وتقاليد أكثر رقه تحترم الإنسان والحب.

مريم، لم يكن خطاء ما فعلنا حين تعانقنا في منتصف الميدان واعلنا اننا في عناق مفتوح مهما افترقت أجسادنا، ليس خطاء اني أحببتك تحت المطر ووسط المعارك الدائرة بين قبائلنا منذ بدأ الخليقه، ليس خطاء اني تتطهرت من كل النساء واسكنتك روحي، ليس خطاء انك منحتني كل شئ دون أن تخافي سيوف القبيله ومقصلة الالسن وعيون القساه، خطائنا الوحيد اننا قطعنا ذالك الوعد الذي صار غيابة الجُب الذي القينا فيه حبنا في غير طريق القوافل فلم يمد له يد العون ولا حتي نحن.

اذكر التفاصيل، كل التفاصيل، ما صنعناه بانفسنا وما صادفنا في رحلتنا داخل مدارت العشق، التقينا شتاءاً، كنا ننتظر الطعام، حضرنا معاً عرضاً مسرحي، سترتي الشتويه مازالت تحمل عطرك منذ وضعتها على جسدك المرتعش بردأ حينها، عودتنا للمنزل والذي صار بعد ذلك وطناً لي، عشائنا الأول والليله الاولي التي تنامي فيها داخلي، ولم تخرجي بعد، الصباح الأول الذى استيقظت فيه وانتي بجواري؛ كأن الشمس نامت في راحة يدي . احبك، اذكر اول مره قولتها، اذكر رد عيناك حينها، ولمستك التي الهبتني حباً، اعترف اني لن أقولها بهذا العمق مره اخري.

لا اذكر كم قضينا معاً، عام، وربما عشر اعوام، أحياناً اعتقد انها ثلاث دقائق قضيناها في عناق طويل على بوابة الحافلة الاخير التي وضعتك داخلها و روحت ابكي. أسير في كل الطرقات التي ضمتنا يوماً والاماكن التي حملت منا ذكري، تردد في اذني الاغنيات التي غنيتها في الليل حين عجزنا عن النوم. كنا نقضي ساعات في الحديث عن الالوان فى اللوحات الفنيه واغنيات كاظم الساهر وعروس البحر التي تعشقينها، افلامك المفضله وكتاباتي، عيناك وطول قامتي، مريم كانت تدهشني كل ليله بما تعرف، وتعرف مني ما يثير دهشتها، فنقضي ساعات الليل في جدال حول شئ عادي.

كان الوعد قاسياً يا مريم، ذلك الذي قطعناه في ليلتنا الاولي، كنت ساذج وعاشق، خائف على حبيبتي واضعف من احميها إن دارت رحي الحرب بين قبائلنا، اخبرتها ان الحب تقتله الحرب وتستنزفه الصراعات وربما كل ذلك يقودنا لجدار

فيغدو دمنا مباح وحبنا خطيئه وعناقنا اعلان حرب لا حب، قولت لن اسمح ان يتمجد اسماء أولئك العجائز لأنهم قطعو راسك قبل أن تدنسي رأس القبيله. قطعنا الوعد حين تعناقت ارواحنا واجسادنا كنا في لحظه مقدسه حتي في نظر قبائلنا ورغم ذلك اصدرو الأحكام بأن ما حدث بيننا يستوجب الغفران منهم اولا ثم من الله، ولم يغفرو شئ.

كم كنت حقيقي فقط في حضرتك يا مريم، كنت ذلك العاشق الذي يكتب من وحي حبيبته وليس وحيه الخاص، يكتب الشعر في جسدك الذي يشبه ملمس الخوخ وطعم السكر ودفئ العشاق في ليل الشتاء، كنت اناديك حبيبتي بملئ الفم والقلب كأني لم أعرف لك اسماً اخر. كلما أقترب موعد رحيلك تنقبض روحي وتصير شاحبه كالطيحن، كنت اخفي ذلك عنك، امزح والقي النكات وابكي في الخفاء كل اللحظات التي عشناها معاً، ليس عيب ان يبكي الرجال إن احب، وأن حبك ليس كمثله شئ في الأرض ولا في السماء.

لم يخسر احد مثلما خسرت، تلك الهزيمه التي لحقت بي سحقت عظامي، أراك الان بعيده كاخر كواكب المجموعه الشمسيه، كل المسافات التي كنت اتجوزها لأجلك صارت أطول واوعر واحتلها المخبرون، هجرتني الكلمات رغم اني مازلت اكتب، فرغات بين الكلمات والحروف لا يملئها سواك. منذ أن غادرت منزلنا للمره الأخيرة وانا ضاع ،ابحث عن شئ ينقصني واعلم اني لن اصل طلما طيفك غائباً، ابحث عني نفسي واعرف يقيناً انها في جنوب البلاد تسكن حجرتك.

ذات ليلة كان وجهك على غير عادته، غائم وملبد بالامطار، سألتك عن السبب لكنك حاولتي عبثاً المراوغه وفي النهائه اخبرتني ان هناك عرض زواج، اصابتني رجفه زلزلتي ولم تخفَي عليكي، قتلت تلك الصرخه التي ارادت الخروج وسألتك عن تفاصيل العرض، كنت اناقشك في كل شئ كأن الامر لا يعنيني، كنت ارى عيناك تقاتل من اجل ان لا تبكي وتتأمل محاولاتي الفاشله لابدو هادئ. تلك الليله نام كل منا في مكان بعيد رغم اننا نتقاسم الفراش، اعلم انك لم تنامي مثلي لكننا لم نتحدث. لاول مره اشعر بالسيف الذي وضعنا على رقبانا، سيف الوعود التي تقتل اصاحبها وتجبرهم ان يشاهدو هزيمتهم دون ان يحاولو المقاومه، كانت الهزيمه فيكي شديدة المراره، تلك الليله فكرت مئات المرات ان القي بكل الوعود في البحر واحملك فوق رأسي واهرب، بقيت طول الليل اراقبك، واعرف انها عادتي الغريبة التي تضحكين بسببها، تلك الليله كانت مختلفه، كنت اخشي ان يأتي احد ليسرقك، اتحسس جسدك بلطف لاتأكد بأنك هنا، كانت ليلة قاسية وطويله.

لا اعرف كيف مضت تلك الليله ولكني اعرف كيف عبرت الايام التاليه فوق جسدى بأحذيتها الخشنه، وقفت ترقص امامي احتفالاً بزواجك، كنت احاول ان انشغل عنك، فلم اتابع اخبارك ولا اتأمل صورك كل ليله ولا اجيب على رسائلك، كل تلك المحاولات يا مريم جذبتني اليك فوجدتني مشغولاً بك. كيف تركتك ترحلين يا مريم؟ هل خفت على رقبتي اكثر من خوفي عليك؟ منذ رحيلك ذلك الوعد يقتلني الالف المرات ويعاتبني على رحيلك، حين حملتي

حقيبتك وحملتك الحافله جنوباً، لم يطاوعني جسد لاركض خلف ولا للصرخ ولا للبكاء واكتفى بالصمت؛ الصمت الذي يلازمني دائماً .

الان انكر كل اشتياقي اليك، واهرب بعيداً عن تفاصيلك التي تحاوطني؛ وحين دق هاتفي انتهت كل محاولاتي واجبت. صوتك مازال قادر على بعثي من الرماد، يرسم امام عيني صورتك، يعيد رسم خريطة ايامي ويمحو كل العذبات التى تحتل كتاباتي. لم تكن محادثه طويله، اخبرتني اننا التقينا في حلم لم تتذكري احداثه لكنك استيقظتي تملئك السعادة، كانت السعادة غائبه منذ ان غادرنا منزلنا الصغير. ومن جديد قطعتي وعداً أن تتصلين بي مره اخرى ولكن مره شهر ولم يحدث، اظن بأننا ادمنا قطع رقابنا بالوعود.

اهمس لنفسي .. لن اجيب، سأخبرهم اني منسحب من تلك اللعبه، لن يفهم احد ما امر، وحدها مريم كانت تفهمني، تفهم حتي ذلك الغموض الذي حيط بي والصمت الذي يبتلعني. حين تحدثنا فى الهاتف اخبرتني ان صمتي يخبرها شئ ما، ربما امراة اخري يأسرك لونها الاسمر وطفولتها، ربما ايضاً تشاركك كل لحظاتك واهتماماتك، تشبه ذلك الجزء الازرق الذي لم يقدر نضجك البأس على صبغه بالاسود، اعتقد انها تشبهني ايضاً ليس لانك تبحث عني ولكن انت لا تنجذب سوى لانثي استثنائيه، ومن صمتك افهم بأن قلبها ليس معك وربما تحكي لك عن حبيب اخر وتناقشها وتعطي لها النصائح ببرود كما فعلت معي ليس لانك لا تحبها بل لانك تحبها وتخشي ان تفقدها بينما تزاحم الحبيب المجهول على قلبها، انت لا

تزاحم الا نفسك، سكتت لثوان ثم قالت وهي تضحك، لا احد يُحب مثلك لكنك تخشي الاقتراب، تحسب خطواتك بالايام واللحظات والكلمات، تؤمن ان الحب ابن الوقت والمواقف وبريق العيون حين نلتقي والضحكات الهاربه خجلاً حين تكتب لها الشعر، الحب هو الاستمرار في الحب بعد ان تنتطفي كل الاضواء الملونه حوالي واصبح ضوء اصفر شاحب.

اعرف يا صغيري انك الان منطفي، كنت فيما مضي اعانقك ونبكي سوياً ما يحزنك، الان كل منا يبكي وحيداً

يسألني صديق، وتسألني مريم، واسأل نفسي عن الانثي التي تسكن سراييني ويتسرب عطرها من مسام جلدي؟ فتلمع الشمس في عيني، فلا ادري اهذه انتِ ؟